مجلة جامعـة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية

العدد الثالث
رجب ١٤١٠هـ

الاستشراق فى خدمة التنصير واليهوديــة

للدكتــور
علي بن إبراهـيم النملـة
الأستاذ المساعد فى قسم المكتبات والمعلومات
بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميــة

تمهيـــد :

الاستشراق ظاهـرة شملت شتى فروع المعرفة الاسلامية، وشمولها هذا أتضح مؤخـرا بعـد أن تخطى الاستشراق مجرد كيل الاتهامات على الكتاب السنة والتراث العـربي. وبسبب من شمـولية الـدراسـات الاستشراقية في الآونـة الأخيرة يستبعد الناهلون من الانتاج الفكري للاستشراق أن تكون هناك علاقة بين هذه الظاهرة وبين ظواهـر أخرى تختلف مع الاستشراق في الطريقة والوسائل، ويقف البعض موقف المتحفظ عندما تكون هناك اشارة لقيام رابطة بين الاستشراق والاستعمار أو التنصير أو اليهودية/ الصهيونية. ومجيء المستشرقين من دول كان لمعظمها صولات وجولات مع الاستعـمار في البـلاد العربية والإسلامية[1] ، ومجيء المستشرقين من دول تدين بالنصرانية كخلفية دينية لم تستـطع التخلص منهـا وان فضلت ان تظهر للآخرين بالمظهر العلماني، ومجيء المستشرقين من مجتمعات نشأ فيها اليهود وكان لهم تأثيرهم على هذه المجتمعات سلباً أو ايجاباً، كل هذا لايبرر قيام رابطة قوية أو علاقة متينة بين هذه الخلفيات والاحـداث، وظاهرة الاستشراق، إذ ان الاستشراق في مجملة كان مجردا من هذه الخلفيات والأحداث على اعتبار ان الاستشراق منهج علمي يدرس ظواهر علمية خلفها سلف الأمة الاسلامية ويحاول الخلف أن يكونوا امتدادا لأولئكم السلف. هكذا يرى البعض الاستشراق الى الدرجة التي جعلت بعضهم «يتبنى» آراء المستشرقين في الكتاب والسنة والتراث العربي الاسلامي، مصرا على أنه لايخرج بهذا عن الخط الاسلامى وان قال في كتاب الله وسنة نبية ـ عليه السلام ـ ما يصل بالمرء الى الخروج من الملة .

والطيب في الأمر أن هؤلاء المنبهرين قلة. وهم يتقلصون مع ارتفاع نسبة الوعي الثقافي والفكري بين العرب والمسلمين، وادراك الكثير من المفكرين أن الهروب من

(١) سبقت مناقشة علاقة الاستشراق بالاستعمار. أنظر: على بن إبراهيم النملة. «العلاقة بين الاستشراق والإستعمار». التوباد مج. ع٤ (شوال ١٤٠٨هـ يونيو ١٩٨٨م). ص ٣٨-٤٢ .

الدين لم يعن الأمة على الوقوف على أقدامها بقدر ماأعانها على التعثر أكثر مما تعثرت من قبل. فبحث المفكرون مرة أخرى في أسباب انحطاط المسلمين وماخسره العالم من هذا الانحطاط، فلم يكن هناك بد من الوقوف على اسهامات المستشرقين مجملة وكونها أثرا من آثار هذا الانحطاط عندما تبين أن هؤلاء المستشرقين - في مجملهم - كانوا عونا على الحملات الاستعمارية على البلاد العربية والاسلامية، و«قاعدة المعلومات» لحملات التنصير التى لاتزال تجتاح المجتمع العربي والاسلامي، وتبين لهؤلاء أن قسما من المستشرقين - كانوا منصرين، كما تبين لهؤلاء أن الاستشراق مهد بطريق مباشر لقيام وطن قومي لليهود في فلسطين وأن الاستشراق لايزال يسعى إلى تسهيل مسألة قبول قيام الوطن القومي لليهود في فلسطين بين المفكرين الغربيين والمفكرين العرب على حد سواء .

ولايكفي ان يقال ان هناك علاقة ضعيفة أو قوية بين التيارات المعادية للاسلام دون اللجوء الى اقناع المتلقي بوجود هذه العلاقة مع شيء وافر من التجرد الذي تفتقر له التيارات. والتجرد ديدننا لانستطيع الخروج عنه مغلبين جوانب أخرى كالعاطفة مثلا وإلا خالفنا نصا منهجيا من نصوص القرآن الكريم. وفي التجرد عدل نحن مطالبون به حتى مع اولئكم الذين لم يراعوا فينا هذه الجوانب التي تسمو بالانسان وترتفع به الى درجات الكمال الانساني، قال تعالى : ﴿**ولايجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقو الله إن الله خبير بما تعملون**﴾ الآية (٨) من سورة المائدة .

ومع هذا فإن محاولات ايجاد علاقة بين هذه التيارات المعادية للاسلام لم تخل في مجملها - وليس كلها - من تغليب العاطفة في مواقف يمكن حصرها . ولأن هذه المحاولات مكتوبة قابلة للمراجعة فينتظر منها أن تعالج هذا الجانب الذي يمكن أن يفهمه ويقدره المتلقي لو كان التلقي مشافهة وارتجالا. و على أي حال فإن تغليب جانب العاطفة ليس سمة يمكن تعميمها على جميع الأعمال التي سعت الى تأكيد هذه العلاقة .

على أن الأعمال العلمية التي سعت إلى تأكيد العلاقة بين التيارات المعادية

للإســلام والـتي لم تقـتصر على هذه الـتيارات الأربعــة (الاستشراق والتنصــير، والاستعمار، والصهيونية) لم تعالج هذه القضية بتوسع لأنها كانت ضمن أعمال عامة في مجال الاستشراق بخاصة. عدا بحث في العلاقة بين الاستشراق والتنصير نشر في «اخبار العالم الاسلام» في حلقات، لعله يجمع ويصدر في كتيب واحد تعميما للفائدة وقد ورد ذكره في هذه المحاولة لتأكيد العلاقة بين الاستشراق والتنصير .

ولايزال موضوع العلاقة بحاجة إلى مزيد من البحث والغوص في حياة المستشرقين العلمية ـ وربما أنشطتهم الأخرى، يستشف منها الباحث دلالات مقنعة لقوة العلاقة ناهيكم عن تحققها، ولايبدو أننا ـ هنا ـ بحاجة قوية لتحقيق وجود العلاقة. ولكن الحاجة قائمة لتأكيد مدى القوة في العلاقة بين مجموع هذه التيارات المعادية. وربما بحثت العلاقة بين الاستشراق وبعض التيارات الأخرى التي خرجت عن الملة وهي لاتزال تدعي أنها من الاسلام.

وعلى أي حال فظاهرة الاستشراق تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث تسبر غورها وتبتعـد عن التكرار وتتخصص في جوانب ضيقة من هذه الظاهرة. ولعل الأقسام العلمية في الجـامعـات الإسـلامية والعربية تسهم في مثل هذه الطريقة في البحث وتكثف من اهتمامها بهذه الظاهرة، على اعتبار أنها الظاهرة الوحيدة من بين الظواهر الأخـرى التى ادعت العلمية والمنهجية، وسعت بهذا اللبـاس إلى تحقيق أهـداف استعمارية وتنصيرية واقتصادية وعقدية وفكرية، كلها تتعارض مع الخط الإسلامي على أخف الأحكام.

ولعل مراكز البحوث المهتمه بالدراسات الإسلامية تسهم في هذا المجال فتوفر المادة العلمية للباحثين وتعينهم على الدراسات وتعقد المؤتمرات والندوات التى تُقوِّم جهود المستشرقـين وإسهـامـاتهم في خدمة التيارات الأخرى، وعقد الموازنة بين خدمتهم للإسلام والتراث وجهودهم في خدمة التيارات. وكان الله في عون الجميع .

(٢) لقد ناشقت مجموعة من الأعمال العلمية التى تحدثت عن الاستشراق أهداف وأغراض هذه الظاهرة وتكاد تجمع على أن الهدف الأول هو الهدف الديني الذي يتضمن التنصير فأقيمت العلاقة بين التنصير والاستشراق من هذا المنطلق . (أنظر محمود حمدي زقزوق . الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري . قطر : رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر ، ١٤٠٤هـ ـ ص ٢٧-٣١ . (سلسلة كتاب الأمة/٥) .

١ ـ الاستشراق في خدمة التنصير ..

يقيم الإسلام حواجز ضخمة أمام المسيحية في كل مكان حل فيه دعاته وعلماؤه. وقد أظهر واقع الأحداث التي عاشها المنصرون خطأ ما ذهب إليه القدماء من أن الإسلام يعتبر بالنسبة للشعوب الإبتدائية خطوة أولى ممهدة لاعتناق المسيحية. فاعتناق الإسلام يقود الإنسان إلى الإيمان بوحدانية لها من القوة على النفوس يمكنها من تحصينها ضد الدخول في المسيحيه بعد أن صار المرء مسلما(٣) .

والحديث عن نشأة الاستشراق ودوافع الاستشراق وأهدافه قد أبانت عن قيام علاقة قوية بين الاستشراق والتنصير. والتنصير كان دافعا وهدفاً من جملة الدوافع والأهداف الدينية للاستشراق . وعشرون من تسعة وعشرين من طلائع المستشرقين كانوا منصرين أو رهبانا أو عاملين في الأديرة(٤). بل إن أول المستشرقين في نظر «العقيقي» وهو «جربر دي أورالياك ٩٣٨-١٠٠٣) كان من الرهبانية البندكتية. ومع أن الاستشراق قد بدأ عليه التحرر من سيطرة المنصرين ونفوذهم إلا أن فكرة التنصير لاتزال عالقة في أذهان المستشرقين(٥)، على اعتبار أنها كانت هي المنطلق الأول لهذا الاتجاه الفكري . وانشغال المستشرقين بالرهبنه قد لا يوحي للبعض انشغالهم بالضرورة بالتنصير. وقد يصدق هذا على غير المستشرقين من المنشلغين بالرهبنة والأديرة والكنائس، ولكنه يبعد أن يصدق على مستشرق وجه جهوده العلمية إلى مواقع للتنصير فيها مطامع قديمة متجددة .

ويفرد «نجيب العقيقى»(٦)، فصلا كاملا عن المستشرقين الرهبان وهم موزعون على النحو التالي :

- الرهبان البندكتيون .
- الرهبان الكرمليون .
- الرهبان اليسوعيون .
- الرهبان الفرنسيسكان .
- الرهبان الدومنيكيون .
- الرهبان الكيوشيون .
- الرهبان البيض .

(٣) محمد شامة ، **الاسلام في الفكر الأوربي** ، القاهرة : مكتبة وهبة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م . ص ٢٢٢ .

(٤) نجيب العقيقي . **المستشرقون** . ٣ أجزاء . القاهرة: دار المعارف، (١٩٨٠م). ١/ ١١٠-١٢٥ .

(٥) بركات عبد الفتاح دويدار . **الحركة الفكرية ضد الاسلام** . مكة المكرمة : المركز العالمي للتعليم الاسلامى، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ . ص ١٠١ .

(٦) نجيب العقيقي : **المستشرقون**. ٣/٢٤٩-٣١٦ .

وقـد أوصـل عدد المستشرقين الرهبان إلى مائة واثنين وثلاثين (١٣٢) مستشرقا راهبا، ٧٥٪ منهم عاشوا في القرن العشرين .

أمـا الفصـل الخـامس عشر من الجـزء نفسه فقد خصصه المؤلف للمستشرقين اللبنانيين، وركز فيه على المدرسة المارونية، وأوصل عدد مستشرقيها إلى ثمانية وثلاثين مستشرقاً مارونيا جعل نفسه آخرهم . وأكثر من ٢٥٪ منهم عاشوا في القرن العشرين .

وإذا كنا قد وصلنا إلى أن الاستشراق في نشأته قد انطلق من الأندلس وعلى يد تلامذة المسلمين من النصارى فإن التنصير قد انطلق أصلا مع الحروب الصليبية[٧]، بشكل أوضح من وفد نجران الذي قدم على الرسول عليه الصلاة والسلام . [٨] فلايبدو أن وفد نجران كان يسعى إلى تنصير محمد عليه السلام . ويمكن أن يعد خطوة أولى في تحدي الإسلام بالنصرانية .

ويأتي الاستشراق «ليصقـل» التنصـير ويكون له مركز المعلومات الذي يمده بما يحتاج إليه قبل أن يقدم على مجرد التخطيط «وصاموئيل زويمر ١٨٦٧-١٩٥٢م» وهو مستشرق منصر في آن واحـد يصدر دورية كاملة يستعين بها المنصرون على أداء مهماتهم في العالم الإسلامي الذي بدت عليه الاستحالة في التحول إلى النصرانية، فيعلنها «زويمر» نفسه أنه ليس الغرض من حملات التنصير في العالم الاسلامى أن يتحـول المسلمـون الى نصارى، فقد أثبتت التجارب استحالة هذا، ولكن مهمة التنصير في هذا القسم من العالم هو التحول عن الإسلام وكفى[٩] . وقد صرح بهذا في مؤتمر القدس التنصيرى المنعقد عام ١٩٣٥ .

(٧) انطلاقة التنصير مع الحروب الصليبية يقصد بها - هنا - ما يتعلق بالتنصير من حيث كونه موجهاً إلى الإسلام وإلا فالتنصير قديم فى انطلاقته. واتضح في جوف آسيا والجزيرة العربية فى أواخر القرن الخامس الميلادي . (أنظر إسماعيل مظهر. تاريخ تطور الفكر العربي بالترجمة والنقل عن الثقافة اليونانية المقتطف . مج ٦٦. ع ٢. (٢/١٩٢٥م) ص: ١٤٢٥) .

(٨) نذير حمدان. في الغزو الفكري : **المفهوم ، الوسائل ، المحاولات** . الطائف : مكتبة الصديق، (د .ت) ص ١٠١ . حيث يذكر أن بدايات التنصير كانت مع وفد نجران وكتب الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى النصارى .

(٩) علال الفاسي. «التبشير أسلحة أخطر الاستعمار» الهلال مج ٨١ . ع ١ (أكتوبر ١٩٧٣م/ رمضان ١٣٩٣هـ). ص ٦٠-٧٠ .

كما يأتي المستشرقون ليصبحوا جنود المسيحية الشمالية «الذين وهبوا أنفسهم للجهاد الأكبر، ورضوا لأنفسهم أن يظلوا مغمورين في حياة بدأت تموج بالحركة والغنى والصيت الذائع، وحبسوا أنفسهم بين الجدران المختفية وراء أكداس من الكتب مكتوبة بلسان غير لسان أممهم التي ينتمون إليها، وفي قلوبهم كل اللهيب الممض الذي في قلب أوروبة، والذي أحدثته فجيعة سقوط القسطنطينية في حوزة الإسلام، ولكن لاهم لهم ليلا ولانهارا إلا حيازة كنوز علم دار الإسلام بكل سبيل، تتوهج افئدتهم نارا أعتى من كل مافي قلوب رهبان الكنيسة، ولكنهم كانوا يملكون من القدرة الخارقة أن يخالطوا أهل الإسلام في ديارهم، وعلى وجوههم سيمياء البراءة واللين والتواضع وسلامة الطوية والبشر. وبفضل هؤلاء المتبتلين المنقطعين عن زخرف الحياة الجديدة، وبفضلهم وحدهم وبفضل ملاحظاتهم التى جمعوها من السياحة في دار الإسلام ومن الكتب، وبذلوها لملوك المسيحية الشمالية نشأت طبقة الساسة الذين يعدون ما استطاعوا من عدة لرد غائلة الإسلام ثم قهره في عقر داره، ولتحقيق الأحلام والأشواق التي كانت تخامر قلب كل أوروبي أن يظفر بكنوز الدنيا المدفونة في دار الإسلام وما وراء دار الإسلام. وهم الذين عرفوا فيما بعد باسم رجال «الاستعمار». وبفضلهم وحدهم أيضا، وبفضل ملاحظاتهم التي زودوا بها رهبان الكنيسة ثارت حمية الرهبان ونشأت الطائفة التى تدرت نفسها للجهاد في سبيل المسيحية، وللدخول في قالب العالم الأسلامي لكي تحول من تسيتطيع تحويله عن دينه إلى الملة المسيحية، وأن ينتهى الأمر إلى قهر الإسلام في عقر داره ـ هكذا ظنوا يومئذ ـ وهذه الطائفة هي التي عرفت فيما بعد باسم رجال «التبشير». فهذه ثلاثة متعاونة متآزره متظاهرة، وجميعهم يد واحدة لأنهم أخوة أعيان، أبوهم واحد، وأمهم واحدة، ودينهم واحد، وأهدافهم واحدة ووسائلهم واحدة»[١٠] .

ويصعب جدا أن تقوم حركة تنصير في بيئة ما دون معرفة هذه البيئة معرفة شاملة. ثقافية ودينية وتاريخية وجغرافية واجتماعية. وتتأتى هذه المعرفة عن طريق الاستشراق

(١٠) محمود محمد شاكر. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا. القاهرة: دار الهلال، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م. (سلسلة كتاب الهلال/ ٤٢٢) ص ٧٣-٧٥ .

حتى أن أحد الكاتبين أراد أن يقسم التنصير إلى نوعين، التنصير الصريح والتنصير المختفى . والتنصـير الصريح يكون علميا نقاشيا أو سفسطائياً تشكيكيا. ويكون أيضـا بالعنف. فالتنصـير العلمي هو ماجـاء عن طريق المستشرقين. أما التنصير بالعنف فهو ماجاء عن طريق الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش واختطاف الأطفال ثم الاستعمار .

والتنصـير الخفي أو المختفي هو مايأتي عن طريق الارساليات الطبية والتعليمية المهنية والفنية والجمعيات الخيرية الاجتماعية وغيرها(١١). ويلاحظ أن جزءا من العالم الإسلامي لايزال يسمى الممرضة إلى اليوم «سستر» وهي الأخت في عالم الرهبنة، بينما أوروبا وأمريكا لاتسميها إلا بالممرضة. وهناك بعثات تنصيرية توغلت في مجتمعات المسلمين واكتسبت شهرة عالمية وتعاطفا لم يسلم منه بعض من أبناء المسلمين. مثل بعثة «الأم تيريزا» في الهند التى لم تعلن يوما أنها جاءت إلى شبه القارة رغبة في بسط تعـاليم المسيح ، ولكنهـا تظهر دائما رغبتها في احتضان المشكلات الصحية والطبية وعلاجها والقضاء على الأوبئة والأمراض المعدية، يعمل معها فريق من الممرضات الهنـديات ذوات التأثير الفعال في مجتمعهن. ولاتبرز في عمل «الأم تيريزا» العلاقة الـواضحـة بينهـا والاستشراق ولا يمكن للمتعـاطفـين معهـا أن يربطوا بينها وبين المستشرقين. وإن لم تكن هناك علاقة قوية فلا شك أن منطلقها كان عن طريق هؤلاء المستشرقين-الذين أعانوها على التعرف على البيئة التي تعمل بها . وأمثال «الأم تيريزا» كثير فى آسيا وأفريقيا، تحاول بقدر الإمكان الابتعاد عن الأضواء خشية الالتفات إلى الأغراض الحقيقة لهذه الأعمال «الإنسانية» . كما تحاول الابتعاد عن إبراز وجود علاقة بين العلم ـ الآتي عن طريق المستشرقين ـ والدين الذي تتبناه بناء على ما شاع من العداوة بين العلم والدين في العقيدة المسيحية المتأخرة. فإذا برزت هذه العلاقة ظهر التناقض وخفت حدة التأثير على المستهدفين. ومن المعلوم أن تهيئة المنصرين إنما قامت على أيدي المستشرقـين سواء كان هؤلاء المستشرقون من الرهابنة القساوسة أو كانوا

(١١) عثمان الكعاك. «صفحات سوداء من تاريخ المبشرين». الهلال. مج ٨١. ع١٠ . (أكتوبر ١٩٧٣م/ رمضان ١٣٩٣هـ) ص ٣٨-٤٩ .

بعيدين عن الألقاب الدينية. يقول «محمد عبد الفتاح عليان»: «لم يكن عمل المستشرقين منفصلا عن عمل المبشرين، فالاستشراق في نشأته ما هو إلا أداة من أدوات التبشير ـ ثم استغل في مرحلة لاحقة ـ لتحقيق مطامع الدول الاستعمارية. وقد نزل كثير من أساقفة الكنيسة الكاثوليكية إلى ميدان الاستشراق بقصد التبشير وتدريب المبشرين على العمل في بلاد الشرق»[١٢]. فتعلموا العربية ودرسوا الإسلام واهتموا بالترجمة وأقاموا المطابع العربية.

وقد سبقت الإشارة إلى أن الاستشراق قد ولد من أبوين غير شرعيين هما الاستعمار والتنصير. فالاستشراق لايزال يعمل من أجل هذا الغرض الذي وجد من أجله، وإنما تتغير الأساليب والطرق والوسائل ملائمة للزمان. ويجد المرء أهداف المنصرين واردة في أعمال المستشرقين التي وجدت رواجا بين المنصرين في معاهدهم وإرسالياتهم ومؤتمراتهم بل جامعاتهم المقامة في العالم الإسلامي على شكل مناهج ودراسات في مجال الانسانيات[١٣].

ولابد من الالتفات إلى المجتمع الغربي نفسه، فالتنصير لم يكن موجها إلى آسيا أو أفريقيا فحسب، ولكن أوروبا وأمريكا أيضا حظيتا بنصيب وافر من حملات التنصير التى أرادت تأكيد قوة الكنيسة خاصة بعد أن بدأت المعلومات عن الإسلام «تتسرب» الى المجتمعات الأوربية، وخاصة منها المفاهيم الصحيحة عن الإسلام فاستعان التنصير هنا بالاستشراق في الافتراء والتشنيع على الإسلام وتشويه أحكامه الألهية العادلة»[١٤]، قصدا إلى الحد من انتشار الإسلام في أوروبا نفسها في الوقت الذي تتجه فيه الأنظار إلى تنصير معاقل الإسلام. ومعلوم أن الطريق إلى تحقيق غايات التنصير يبدأ قطعا بتجريد الأمة من انتماءاتها العقدية أولا، يقول «وليم جيفرد

(١٢) محمد عبد الفتاح عليان. **أضواء على الاستشرا**. الكويت: دار البحوث العلمية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م. ص ٢٤.

(١٣) انور الجندي: **الاسلام في وجه التغريب: مخططات التبشير والاستشراق**. القاهرة: دار الاعتصام، (د.ت) ص ٢٦٦ـ ٢٦٧).

(١٤) على جريشة ومحمد شريف الزيبق. **أساليب الغزو الفكري للعالم الاسلامى**. القاهرة: دار الاعتصام، (١٩٧٨). ص ٢٠.

بالغراف» : «متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه»[١٥]

وربط علاقة بين الاستشراق والتنصير على وجه العموم تصطدم بوجود مجموعة من المستشرقين «العلمانيين» واليهود الذين لايتصور منهم أن يكونوا مدفوعين بخدمة التنصير أو أن تكون من أهدافهم خدمة الكنيسة، فهذه الفئة من المستشرقين تتناقض في منطلقاتها مع الكنيسة. وعليه فلابد هنا من الاحتراز من خلال الابتعاد عن التعميم الذي قد يفهم عند الحديث عن الروابط بين الاستشراق والتنصير.

ولابأس في هذا ، إلا أنه لابد من التنويه إلى أمرين أساسين في محاولة إيجاد علاقة بين الاستشراق والتنصير على وجه العموم :

أولا - أن العلمانيين من المستشرقين لم يستطيعوا بحال أن يتخلوا عن ميولهم الكنسية خاصة فيما يتعلق بإنتاجهم العلمي حول العالم الإسلامي، وإن كانوا يعلنون رسميا وفي أكثر من مجال أنهم علمانيون يرفضون التقيد بدين معين. فهذا ينطبق على ممارساتهم في حياتهم الخاصة، ويصعب عليهم عمليا تطبيق علمانيتهم على إنتاجهم الفكري .

ثانيا - أن التنصير استفاد من المستشرقين اليهود فائدة جليلة وإن تكن فائدة غير مباشرة وترجع هذه الفائدة إلى الارتباط الوثيق بين الصهيونية واليهودية - كما سيأتي بحثه - والارتباط الوثيق بين الصهيونيه وكثير من رجال الدين المسيحى . وعليه نشأت العلاقة الوثيقة بين المسيحية واليهودية، وإن لم تبد هذه العلاقة بارزة معلنا عنها. ويكفي أن نعلم أن زعيم المنصرين وهو مستشرق أيضا - «صموئيل زويمر» كان في الأصل يهوديا، وأنه قد استدعى أحد الحاخامات عند احتضاره. لعله أراد أن يلقنه صلوات اليهودية عند الموت[١٦] .

---

(١٥) أ.ل شاتليه . **الغارة على العالم الإسلامي** - لخصها ونقلها إلى اللغة العربية مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب. ط٢. جدة : منشورات العصر الحديث ، ١٣٨٧ هـ. ص ٩٣-٩٤ .

(١٦) عبد الله التل . جذور البلاء ط١ . بيروت : المكتب الإسلامى، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م . ص٢٢٨ .

ولم يكن «زويمر» بدعا في قومه فقد ادعى النصرانية جمع منهم وانخرطوا في الرتب الكهنـوتية مكنتهم من فرض آرائهم على الكنيسة وتوجيهها الوجهة التى يريدون. واستطاعوا بمساعدة الجمعيات السرية كالماسونية وغيرها أن يهدموا قوة الكنيسة في أوربا وأمريكا، وأن يوجهوها ويوجهوا الحكومات إلى المباديء الصهيونية، ثم اتجهوا إلى الإسلام طمعاً في هدم القوة الروحية فيه وتوجيه أهله إلى المادة. وبذلك يضمنون عدم معارضة خططهم الهادفة الى السيطرة على بلاد المسلمين(١٧)، سيطرة مباشرة أو غير مباشرة. وهذا واضح جلي في مواقف القسس الأوروبيين والأمريكيين من اليهودية ومن الإسلام، وخاصة منهم أولئك الذين يحتلون أماكن مرموقة في الإعلام الأمريكي عن طريق الإذاعة والتلفزيون.

وإن لم يكن المنصرون يهودا وكان المستشرقون يهودا فإن المنصرين قد أفادوا كثيرا من نتاج المستشرقين اليهود في مدارسهم وأديرتهم وكنائسهم ومعاهدهم وجامعاتهم. كما استفادوا أيضا من نتاج المستشرقين العلمانيين الذين استطاعوا أن يبرزوا انفصالهم عن الكنيسة. ولكنهم لم يستطيعوا طرق أبواب الانصاف والنزاهة، فكانوا أدوات في أيدي حكوماتهم المستعمرة أفادت منهم وأفاد منهم التنصير. فالاستشراق في شطريه «عاملا مع الكنيسة أو عاملا مع وزارات الاستعمار لا يستطيع أن يخلص إلى الحق وإنما هو يؤدي دوره في إثـارة الشبهـات وتقـديم الـزاد الكافي لدراسات التبشير ومعاهد الإرساليات لخلق ظاهرة من انتقاص العرب والمسلمين وفكرهم وعقائدهم»(١٨).

ولأن الاستشراق يعمل كـ «قاعدة معلومات» للتنصير كان لابد أن تكون هناك فروق في المنطلقـات بين الاستشراق والتنصـير وإن اتفقت الغـايات العليا لهاتين الوجهتين: فالمنصر «داعية» للدين النصراني المسيحي، أو هو داعية لخروج المسلم عن دينه فحسب، أما المستشرق فهو باحث في تراث المسلمين وقيمهم ومفاهيمهم

(١٧) أحمد الزغيبى. الفكر الصهيوني وأهدافه في المجتمع الإسلامي. بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية. قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ٣ مجلدات. ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ٣/ ١٠٤٦.

(١٨) أنـور الجنـدى: شبهـات التغـريب في غزو الفكر الإسلامي، دمشق: المكتب الاسلامى. ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ٩١.

وأخلاقياتهم يبث نتائجه في دراساته وبحوثه وكتبه ومحاضراته كل هذا عن طريق المنهج العلمي .

والمنصر منطلق رحالة يجوب البلاد قراها ومدنها وريفها يعظ أو يعالج أو يعلم أو يدرب أو يفلح الأرض . أما المستشرق فقابع في مكتبته لايكاد يبرح بلاده إلا إذا دعته ضرورة البحث إلى «رحلة علمية» يجوب فيها البلاد التى يدرسها أو يقف منها على مكان بعينه .

والمنصر ـ نسبيا ـ صريح في دعوته واضح فيها وإن حاول إخفاءها تحت ستار خدمة الإنسانية . ولكنه لايتردد في أن يعلق الصليب على صدره أو في مكتبه أو عيادته أو معمله أو مدرسته . وربما أفرد فيها مكانا أو زاوية للنشريات التى يعمل لها وبها ، أما المستشرق فباطنى يتظاهر بالعملية والمنهجية والتجرد والموضوعية وإن كان من القساوسة أو الرهبان ، ويحاول الوصول إلى أغراضه الباطنه ممتطيا صهوة العلم والتجرد ، وكأنى به ممتطيا صهوة حصان من خشب مشعرا الآخرين أن هذا الحصان ذو صهيل تطرب له الآذان «وتشنف» له الأسماع ، وقد وفق بعضهم ـ دون شك ـ في إشعار بعض «الآخرين» بهذا ، فانقاد له البعض منهم وتنبه له الآخرون فأخذوا منه وردوا وكان ماردوه عليه أكثر مما أخذوه منه .

والمنصر ينطلق من مؤسسات ومعاهد ومدارس وجامعات ومستشفيات في البلاد التي يعمل بها أو في مركز في قارة يعمل بها . كما يتخذ من بعض عواصم العالم العربي مركزا له فى الانطلاقة إلى أدغال أفريقيا وبعض عواصم الشرق الأقصى في الانطلاقه إلى جبال وسهول آسيا . ولايكاد يحل في بلد له فيها شأن إلا ويقيم فيها له مركزا دائما على شكل كنيسة أو مدرسة أو عيادة أو نحوها ، بينما تكون علاقة المستشرق بالبلاد التى يعمل أعماله فيها مقصورة على زيارة خاطفة يلقي خلالها محاضرة أو يحضر اجتماعا لمجمع هو عضو فيه أو يلبي دعوة من رئيس جامعة أومؤسسة علمية قاصداً إلى الاستشارة وإبداء الرأي ولاتربطه بهذه البلاد روابط قوية . وقد تنتهي حياته وهو لم يقم بزيارة سريعة لبلاد كثر حولها إنتاجه حتى بات يعرف طرقها ومسالكها وقديمها وحديثها .

ويقـول «نـذير حمدان «بعـد محاولـة إيجـاد الفـروق في الوسائل بين المستشرقين والمنصرين : «ويبدو لي من خلال تتبع تراجم كثيرة للمستشرقين والمنصرين أن الدافع الكنسي (المخـطط) نظم فئة قادرة على البحث والفكر فكان (المستشرقون) وجماعة قادرة على الأسلوب الـدعوي الإعلامي فكان (المنصرون) ، ثم التحمت الفئتان والجماعتان وكونت (الاستشراق التنصيرى)[١٩] .

ويبـدو الاستشراق التنصيرى واضحا عندما تبرز فكرة أن الكثيرين ممن احترفوا الاستشراق وبـرزوا فيه «بدأوا حياتهم العلمية بدراسة اللاهوت قبل التفرغ لميدان الدراسات الاستشراقيه ، وكأنهم أرادوا أن يتسلحوا بمعرفة كافية بالعقيدة المسيحية قبل الخوض في غمار الحرب المبطنة التى أرادوا شنها على الإسلام . وظل الكثير منهم يتولى وظائف دينية وتبشيرية ، وله مكانة كنسبة مرموقة ، ورغم محاولات بعضهم نفي هذه التهم والإعـلان عن حيادهم وأنهم إنـما يقصـدون من دراسـاتهم وجه العلم والحقيقة فقد لازم التعصب الديني أكثرهم وبدا بين سطور ما يكتبون وإن لم يعلنوا عنه صراحة وجهارا»[٢٠] وقد ينصب الذهن على الاتجاه أن هؤلاء الذين بدأوا حياتهم العملية بدراسـة الـلاهـوت هم جملة من طلائـع المستشرقين الذين يتحدث عنهم «نجيب العقيقي»[٢١]. ولابد من التأكيد هنا إلى أن هذه الظاهرة امتدت في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين/ التاسع عشر والعشرين الميلاديين . ولعل من أبـرز هؤلاء المستشرقين المنصرين «الأب هنري لامانس ٢٨٦٢-١٩٣٧م» و«دنكن بلاك ماكدونالد ١٨٦٣- ١٩٤٣» و«الأب آسين بلاثيوس ١٨٧١ -١٩٤٤م» و«شارل دوفـوكـول (؟)» و«وليام مونتـوغمري وات» معاصر و «سنوك هو رغرونيه ١٨٥٧-١٩٣٦م» والملاحظ أن هؤلاء المستشرقين المنصرين موزعين من بلاد أوربا وأمريكا في الولايات المتحدة الأمريكية وبلجيكا وإسبانيا وفرنسا وبريطانيا وهولندا[٢٢] . ويقدم

(١٩) نذير حمدان . فى **الغزو الفكري** . ص ١٨٦-١٨٨ .

(٢٠) نبيه عاقل. «ألمستشرقون وبعض قضايا التاريخ العربي الإسلامى» في **محاضرات وتعقيبات الملتقى السادس للتعـرف على الفكـر الإسـلامي** . المجلد الثـاني. الجـزائـر في ٦/١٣- ١/٧/١٣٩٢هـ الموافق ٧/٢٤-١٩٧٢/٨/١٠م . نشرته في الجزائر وزارة التعليم الأصلي والشئون الدينية . ص ١٩٨ .

(٢١) نجيب العقيقي . المستشرقون . ١/ ١١٠-١٢٥ .

(٢٢) محمد بن عبود. «الاستشراق والنخبة العربية» **المجلة التاريخية المغربية** . مج ٩. ع ٢٧ و ٢٨ . (١٩٨٢). ص ١٩٩-٢١٥

المستشرق الفـرنسي «مكسيم رودنسـون مولـود عام ١٩١٥م» ، تبريرا لانشغـال المنصرين بالاستشراق/ أو انشغال المستشرقين بالتنصير بقوله : «لقد أدت الوضعية الحقيرة التي وجد العالم الاسلامي نفسه فيها إلى تشجيع المبشرين المسيحيين حيث وجدوا مجالاً واسعا للعمل وبذلوا مجهودات في اتخاذ موقف الهجوم والتبشير وتضايقوا من العراقيل التي وضعها أمامهم كل من الفقة الاسلامي والإداريين الاستعماريين أنفسهم ، حيث خشي هؤلاء من ردود فعل مختلفة لأعمال مكشوفة أكثر من اللازم . وفي نطاق الاتجاهات الإنسانية العادية وبمؤازرة مع الأفكار العامة للعلوم في وقتهم كانوا يربطون نجاح الدول الأوربية بدينهم المسيحي ، كما كانوا يربطون تقهقر العالم الإسلامي بالإسلام ، وهكذا اعتبروا المسيحية مؤيدة بطبيعتها للتطور وبالتالي اعتبروا الإسلام مؤيدا للركود والتأخر الثقافي ، فاتخذ الهجوم على الإسلام أعنف الصفات وشرع المجددون في تزيين الحجج والبراهين الشائعة خلال القرون الوسطى واتخذوا مظاهر تجديدية»[٢٣] ولم يستطع كثير من المستشرقين ـ على العموم ـ التجرد من هذه النظرة الفوقية للإسلام ومن الشعور بتفوق المسيحية على الإسلام . وكان لهذا أثره على نظرتهم للإسلام من خلال مرآة مسيحية حيث طبقوا عليه المبادىء المسيحية وأفكارهم المسبقة «فالمسيح» ـ عليه السلام ـ في نظر المسحيين هو أساس العقيدة ولذا تنسب الديانة إليه ، والنصرانية شبه مهملة لفظا ومعنى ، وحاول المستشرقون تطبيق ذلك على الإسلام «فمحمد» ينبغي أن يكون عند المسلمين كما «المسيح» عند المسيحيين ، ولهـذا يطلقـون على الإسلام المحمدية أو المذهب المحمدي وعلى الشخص المسلم «محمدى» ، فيغفل الاسلام لفظا ومعنى . ويبقى المذهب بشريا صاغه ذلكم المصلح العبقـري «محمـد» في مكـة والمـدينة . ويخرج المسيحيون إلى بشرية الاسلام والهية المسيحية على اعتبار أن المسيح لديهم هو ابن الله[٢٤] ـ أو ربما عند البعض هو الإله ، الـذي لم يتزوج ولم يحارب ولم يفُقد أمه ، بخلاف «محمد» المزواج المحارب السياسي القائد رجل الدولة المستفيد من الحضارات والثقافات التي سبقته أو عاصرها ، يجمع منهـا جميعا مجموعة من الطقوس والأحكام والسلوكيات وحاول أن يظهر منها بدين

(٢٣) نقلا محمد بن عبود . «الاستشراق النخبه العربية» . ص٢٠٢ .

(٢٤) محمود حمدي زقزوق . الاسلام والاستشراق . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٤هـ . ص . ٢٢ .

جديد يسميه الإسلام : فيأخذ من الجاهلية صلاة الجمعة ، وصوم عاشورا ، وتطييب البيت الحرام وحظ الذكر في الميراث وكونه مثل حظ الأنثيين ، والتكبير ، والأشهر الحرم ، والحج والعمرة ، ونتف الإبط ، وحلق العانة ، والوضوء والاغتسال ، والختان وتقليم الأظافر .

ويأخذ من الصائبة الصلوات الخمس ، والصلاة على الميت ، وصيام شهر رمضان ، والقبلة ، وتعظيم مكة ، وتحريم الميتة ولحم الخنزير ، وتحريم الزواج من المحارم .

ويأخذ من الهندية والفارسية قصة المعراج ، والجنة ومافيها من الولدان والحور العين ، والصراط المستقيم .

ويأخذ من اليهودية قصة «قابيل وهابيل» وقصة «إبراهيم ـ عليه السلام» ـ وقصة ملكة سبأ ، وقصة «يوسف الصديق ـ عليه السلام ـ .

ويأخذ من النصرانية قصة «أهل الكهف» وقصة «مريم العذراء» ، وقصة طفولة «عيسى» ـ عليه السلام ـ[٢٥] . وليس المقام هنا دحض هذه الشبهات والتصدي لها، فقد قام بهذا علماء مسلمون أجلاء ، ولكنها هنا محاولة لإثبات قوة الرابطة بين التنصير والاستشراق وأن الاستشراق عمل على توصية «زويمر» في إخراج المسلمين من دينهم دون النظر إلى إدخالهم في النصرانية من خلال تشويه الإسلام وإضعاف قيمته وتصويره للرأي العام الأوروبي والأمريكي بصورة مزرية بعيدة عن المستوى الحضاري في عصرنا الحاضر[٢٦]، ومن خلال معاونة المستشرقين على تثبيت وتأكيد هذه الاتهامات وتوسعهم فيها وتخصص كل فريق منهم في بعضها يروجونها في مؤلفاتهم ودراساتهم مع إدراكهم «أنها لاتعدو أن تكون دسائس مغرضة وإشاعات ملفقة لمحاربة الإسلام وتشويه مفاهيمه ، فالاستشراق والتبشير عدو واحد له هدف واحد يسعى ليدركه وهو

(٢٥) إبراهيم خليل أحمد . الاستشراق والتبشير وصلتهما بالإمبريالية العالمية . القاهرة : مكتبة الوعي العربي ، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م. ص ٦٧-٦٨ .

(٢٦) مصطفى خالدي وعمر فروخ . التبشير والاستعمار في البلاد العربية : عرض لجهود المبشرين التى ترمي إلى إخضاع الشرق للاستعمار الغربي. صيدا : منشورات المكتبة العصرية، ١٩٨٢م . ص ٤٦ .

تشويه الاسلام ليصل من وراء ذلك الى تمزيق المسلمين وإشاعة البلبلة في أفكارهم وبين صفوفهم لئلا يلتقوا فيراجعوا من عزتهم ما كان(٢٧) ولعل هذا يكون مبررا واحدا من مجموعة من المبررات التي تفسر بداية الاستشراق وانطلاقه من الكنيسة بإنشاء أول مركز لتعليم اللغة العربية في الفاتيكان لتخريج أهل جدل يقارعون فقهاء المسلمين وعلماءهم ومفكريهم . وبرحيل الرهبان إلى المشرق والمغرب الإسلامي لتعلم اللغة العربية وعلوم الإسلام للغاية نفسها .(٢٨) .

على أن بعض الباحثين في الاستشراق والمستشرقين يحاول من خلال الاستقراء إن يصنفهم حسب قوة اندفاعهم لتحقيق أغراض التنصير فالكاثوليك مثلا أعتى من غيرهم والفرنسيون أشد تعصبا ضد الإسلام ورسوله . فمن النادر أن نقرأ لمستشرق فرنسي شيئا طيبا عن حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يشير إلى ذلك «حسين مؤنس»(٢٩) وهناك من يرى أن المستشرقين الألمان هم أكثر المستشرقين نزاهة لأن دوافع التنصير والاستعمار لم تكن بارزة فيهم ، إذ لم تستعمر ألمانيا بلدا مسلما، ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق(٣٠) ومع هذا لم يخل الاستشراق الألماني من آراء خاطئة تماما أو «لاتـوافق العـرب والمسلمـين» أو نقص أو غلط ولكنها ـ فى رأي «صلاح الدين المنجد» غير قابلة للتعميم(٣١) . ولم نتعود التعميم في إصدار الأحكام العلمية الموضوعية المجردة. ويسعى المنصفون من المحللين لحركتى الاستشراق والتنصير إلى عزل فئة من المستشرقين عن هذه العلاقة الحميمة في الوقت الذي يقرون فيه وقوع المستشرقين

---

(٢٧) أحمد سمايلوفتش . فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر . القاهرة : دار المعارف، (١٩٨٠م) . ص ١٢٧ .

(٢٨) أحمد عبد الرحيم السايح . «العلاقة بين الاستشراق والتنصير» «أخبار العالم الأسلامي» . مج ٢٤ ع . ١١١ (ومابعده) (١٤ رجب، ١٤٠٩هـ الموافق ٢٠ فبراير ١٩٨٩م) . انظر العدد ١١١٢ ص ١٠و١٤ .

(٢٩) محمد أحمد مشهور الحداد . «الاستشراق والمستشرقون» . أخبار العالم الاسلامي . مج ٢٣ . ع ١٠٧٤ ص ١٠ .

(٣٠) صلاح الدين المنجد. «الاستشراق الألماني في ماضيه ومستقبله» الهلال مج ٨٢ ع ١١ ص ٢٢-٢٧ (شوال ١٣٩٤هـ/ نوفمبر ١٩٧٤م) ص ٢٢- ٢٧ .

(٣١) صلاح الدين المنجد ، المستشرقون الألمان : تراجمهم وما أسهموا به فى الدراسات العربية . ط٢ . ط١ . بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٩٨٢م . ص ٧-١٣ .

فى أخطاء مقصودة أوغير مقصودة أفاد منها التنصير. يقول «محمد حسين علي الصغير» : «إننا لانستطيع أن ننفي هذه التهم جملة وتفصيلا ـ (التهم التنصيرية) ـ فلهذه أصل من الصحة ، ولايمكننا أن نزيف جميع الجهود الاستشراقية ونصمها بالتبشير، ففي هذا بعض الغلو والتطرف ، ولكننا نستطيع أن ننزه قسما ونتهم قسما آخر ، فالمستشرقون بشر ، والبشر فيه الموضوعي وفيه السطحي ، والمستشرقون مجتهدون ، وقد يخطىء المجتهد وقد يصيب»(٣٢) أما صفتهم بالبشرية فواردة. وأما وصفهم بالاجتهاد فأمر يحتاج إلى نظر ، وليس من الإنصاف للمستشرقين أن نرقى بهم إلى هذه الدرجات ، ومع هذا فعلينا ألا نغفل العلاقة القوية بين الاستشراق والتنصير والصلة الوثيقة بينهما وأن تاريخ التنصير وأن تاريخ التنصير مرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الاستشراق ، وهما لاينفصلان عن تاريخ الاستعمار السياسي والفكري والأخلاقي .(٣٣) وأن الآراء الاستشراقية كانت ولاتزال «تنشر في المؤسسات التي أنشأها التبشير كالمستشفى ، والمدرسة والجامعة ، والمخيم ، والنوادي الاجتماعية ، وكذلك كانت الآراء الاستشراقية تنشر في أكبر وسيلة عبر الكلمة المكتوبة من كتب ودوريات ومجلات ، ومحاضرات وندوات ، ومؤتمرات»(٣٤) .

ولابأس من أن نختم هذه الجولة في تثبيت العلاقة بين الاستشراق والتنصير بعبارة أوردها «قاسم السامرانى» «لصموئيل زويمر» مع الاحجام عن التعليق يقول «زويمر» : «إن من جملة المطالب في الجزيرة العربية بل وأولها : الحق التاريخي ، لأننا نعرف أن أصقاعا واسعة في الشرق الأدنى كانت نصرانية ، والآن إسلامية ، وأن المطالبة بشمال أفريقيا وسوريا وإيران وفلسطين والجزيرة العربية وآسيا الوسطى حق للنصرانية في استعادتها . . . يجب أن نعيد كسب الجزيرة العربية لدين المسيح من أجل كرامة الكنيسة ، من أجل كرامة اسم المسيح ومن أجل شهداء نجران الذين

---

(٣٢) محمد حسين علي الصغير . **المستشرقون والدراسات القرآنية** . ط ٢ . بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م . ص ١٦ .

(٣٣) قاسم السامراني . **الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية** . الرياض : دار الرفاعي ، ١٤٠٣ . ص ٥١ .

(٣٤) عدنان محمد وزان . **الاستشراق والمستشرقون : وجهة نظر** . مكة المكرمة : رابطة العالم الاسلامي ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م . ص٦١ . (سلسلة دعوة الحق/ ٢٤) .

ذكرهم القرآن . . إن الجزيرة العربية هي مهد الإسلام . . وإن المحمديين في حاجة إلى بشارة الإنجيل بنفس الحاجة التى يحتاجها الآخرون (من غير النصارى) . إن الإسلام ليس هرطقة نصرانية، بل إنه كذلك ليس دينا غير نصراني - إن الإسلام عدو للنصرانية في أصولها وأخلاقها وتاريخها وحياتها»[٣٥] .

(٣٥) قاسم السامرائي ، **الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية** . ص ص ٥٠-٥١ . وانظر أيضاً الأمير شكيب أرسلان . حاضر العالم الاسلامي :- ٤ أجزاء في مجلدين - ط٤ . بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٤هـ، ١٩٧٣م - ١/٢٧٨-٢٨٢ .

٢ ـ الاستشراق في خدمة اليهودية

إذا كان المستشرقـون بمجملهم قد عملوا على تحقيق أهـداف عدة على رأسها الأهـداف الـدينية ثم الاستعـمارية والسياسية والتجارية والعلمية مدفوعين بدوافع مشـابهـة ، فإن هذه الأهـداف ـ عدا العلمية ـ إلى اليهـود ألصق منها بغيرهم من المستشرقـين، رغم ما تركته الحروب الصليبية من إصرار المسيحيين على العودة إلى الديار المقدسة بأي شكل من أشكال العودة. واليهود أكثر إصراراً على العودة بعد أن أجـلاهم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ من الجزيرة العربية عندما أدرك «أن الدولة الاسلامية لايمكن أن ترسخ في شبه جزيرة العرب مادام اليهود يثيرون أهلها على الدولة ويفقرونها بالربا الفاحش»[٣٦] ولسنا هنا بصدد التوسع في سرد تاريخ اليهود وعـلاقتهم بالمسلمـين منذ البعثة المحمدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ ولكن يكفي أن نقرر هنا أن دخول اليهود مضمار الاستشراق إنما تدفعه بواعث عرقية قديمة لم تكن وليدة القرون المتأخرة ، وأن اليهود يتطلعون إلى العودة إلى «خيبر» و«المدينة المنورة» عن طريق «القدس» و«الجليل». فعندما سقطت «القدس» في أيدي اليهود سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م دخلها وزير الدفاع ـ آنذاك ـ «موشي دايان» مع الحاخام الأكبر «شلوموغورين»، وبعد أن أدى صلاة الشكر عند حائط البراق الشريف قال : «اليوم فتحت الطريق إلى بابل ويثرب» وتقول رئيسة الوزراء السابقة «غولدا مائير» وهي في «إيلات»: «إني اشم رائحة أجدادي في خيبر». ويقول «هرتزوغ» لامرأة مسلمة ضيق عليها اليهود الخناق حتى دهموا دارها بالجرافات، فآثرت الرحيل إلى المملكة العربية السعودية حيث أبناؤها : «إذا رأيتِ الملك فيصل (رحمه الله) فقولي له إننا قادمون إليه ، فإن لنا أملاكا عنده ، إن جدنا إبراهيم هو الذي بنى الكعبة وإنها ملكنا وسنسترجعها بالتأكيد»[٣٧] وهذه أقوال «قادة» يهود يملكون ـ نوعاً ما ـ القرار السياسي والعسكري .

(٣٦) مصطفى خالدي وعمر فروخ . التبشير والاستعمار . ص ١٨٠ .

(٣٧) إسماعيل الكيلاني. لماذا يزيفون التاريخ ويعبثون بالحقائق؟! بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ص . ٣١ .

ومن هذا المنطلق يسعى اليهود إلى الوصول إلى هذه الأهداف مستخدمين وسائل شتى ، من ضمنها الاستشراق بالمفهوم الذي يناقش فيه هنا ، ولذا لم تغفل الجامعات اليهودية الدراسات الإسلامية والعربية أقساما مستقلة فيها ، بل هي الآن وبحكم قربهـا من العالم العربي والإسلامي أكثر تأثيرا من مراكز ومعاهد الدراسات العربية والإسلامية في البلاد الأخرى . وتتاح لها من الظروف والإمكانات مالايتاح لتلكم المراكز والمعاهد .

وقد حاول المستشرقون اليهود في البدايات الأولى للاستشراق التكتم على انتمائهم اليهودي ونظروا إلى أنفسهم ، وأرادوا الآخرين أن ينظروا لهم على أنهم مستشرقون فحسب ، وَقلَّ منهم من صرح بيهوديته .

ويأتي اتجاه اليهود نحو الاستشراق في البدايات فقط إلى الشعور السامي لديهم وأنهم والعـرب ـ منشـأ الإسلام ـ يعودون إلى أصول واحدة ، فدرسوا العبرانية في البـداية وجـرتهم دراسـة اليهـودية إلى دراسة الإسلام عندما أرادوا أن يبرزوا الأثر اليهودي على الإسلام كما أراد المستشرقون المسيحيون إبراز الأثر المسيحى على الإسلام .

وما الاستشراق اليهودي إلا امتداد لموقف اليهود عموما من العرب والمسلمين ، ذلـك الموقف الذي لم يكن وليد القرون المتأخرة ، بل صاحب الإسلام منذ أيامه الأولى في المـدينـة المنورة . ولذا نجد أن جانب الإنصاف والنزاهة بين المستشرقين اليهود يقل كثيرا عنه بين المستشرقين والمسيحيين أو الملحدين من غير اليهود . وهذه ردة فعل طبعية أملتها الجذور التاريخية للعلاقة بين العرب واليهود . ولذا نجد أن هناك من يصنف المستشرقين على فئتين :

ففئـة تستحق التقـدير والاحترام لما لها من المآثر في نشر العلم والثقافة وتسهيل الوصول إلى مؤلفات وأعمال ودراسات بادروا إلى تحقيقها ودرسها وفهرستها ونشرها . وهذه الفئة هي التي كانت ذات أهداف علمية نزيهة .

وفئـة أخـرى ـ ومعـظمهم من اليهود، أو ممن يتعاطف معهم ـ درسوا الإسلام

وعلومه قصدا إلى محاربته وإنكار أصالته وأهميته وأثره في تفكير المؤلفين الأوربيين وفي المنجزات الفكرية الحضارية[٣٨] وهذا تقسيم سريع لفئات المستشرقين أريد منه التأكيد على التأثير اليهودي على الفئة الأخرى للاستشراق . والحق أن المستشرقين طوائف عدة إذا نظر إليهم بعيدا عن جنسياتهم وخلفياتهم الثقافية . فمنهم فئة لم تملك ناصية اللغة فأخطأت في نشر الكتب وفي فهم النصوص . ومنهم فئة آثرت في دراساتها مآرب السياسة والتعصب للدين فوجهت الحقائق وفسرتها بما يوافق أغراضها أوماتسعى إليه . ومنهم فئة أوتيت الكثير من سعة العلم والتمكن من العربية والإخلاص للبحث والتحرر والإنصاف[٣٩] .

ومثل هذا أن يقال عنهم إنهم فئات متعددة حسب الميول والأهواء . فالفئة ذات المآرب السياسية هي الفئة التي يمكن أن يقال عنها إنها الفئة المتعصبة للغرب وطنيا وجنسيا ، وهناك فئة المستشرقين الماديين الملحدين الذين يدعون إلى هدم المجتمعات القائمة ويؤكدون على أن الأديان تقف عقبة في طريق الإصلاح الإجتماعي ، وهناك فئة المؤمنين المحترفين سماسرة التنصير يتخذون من تشويه الإسلام صناعة لهم يستدرون بها الرزق ، وهناك طائفة المغرمين بالأساطير والخرافات والخيال ينقلون عن المجتمع العربي المسلم صورا علقت في أذهانهم عندما قرأوا «الف ليلة وليلة» . وهناك فئة الصهاينة وهي أخطر الفئات على الإطلاق لما يتوافر لها من الإمكانات المادية والوسائل الدعائية والاعلامية ودور النشر وغيرها .[٤٠] وهناك فئة المستعمرين التي تبحث الآن عن مجالات أخرى تخدم فيها الاستعمار بعد أن شهدت أفوله على أرض العرب والمسلمين .

---

(٣٨) محمد صالح البنداق، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم : عرض موجز لمواقف وآراء وفتاوى بشأن ترجمة القرآن الكريم مع نماذج لترجمة تفسير معانى الفاتحة في ست وثلاثين لغة شرقية وغربية . ط٢ . بيروت : دار الآفاق الحديثة ، ١٤٠٣هـ . ص ٩٣-٩٤ .

(٣٩) صلاح الدين المنجد . المنتقي من دراسات المستشرقين : دراسات مختلفة في الثقافة العربية : ج١ ، ط٢ . بيروت : دار الكتاب الجديد ، ١٣٩٦/ ١٩٧٦م . ص ج - د .

(٤٠) عباس محمود العقاد . ما يقال عن الإسلام . القاهرة : دار الهلال . ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م . (سلسلة كتاب الهلال/١٨٩) . ص ٩-١٨ .

والمستشرقون من حيث اهتماماتهم فئات أيضا . فهناك فئة عنيت بالقرآن الكريم وعلومه ، وهناك فئة اهتمت بسيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ . وهناك فئة عنيت بالسنة والحديث . وهناك فئة ركزت على الفرق الاسلامية . وهناك فئة عنيت بالتعاليم الاسلامية ، وهناك فئة اهتمت بالفتوح الإسلامية ، وهناك فئة ركزت على الولاة والأمراء وحكام الأمصار والخلفاء في الدولة الإسلامية ، وهناك فئة درست الحضارة الإسلامية وما لها من تأثير وما عليها من تأثر(٤١) وهناك فئة تخصصت في الآداب العربية ، وهناك فئة اهتمت بالفن الإسلامى . وفئة أخرى إتجهت إلى العلوم عند المسلمين . وهكذا تتعدد الفئات حسب الاهتمامات . ويدخل اليهود المستشرقون في هذه الفئات جميعها محاولين عدم التميز عن غيرهم من المستشرقين ، بل ربما تعمدوا إخفاء الخلفية العرقية التي يعودون إليها واكتفوا بأنهم مستشرقون إنجليز أو فرنسيون أو ألمان أو هولنديون أو أمريكيون . . الخ «وهكذا لم يرد اليهود أن يعملوا داخل الحركة الاستشراقية بوصفهم مستشرقين يهودا حتى لايعزلوا أنفسهم وبالتالي يقل تأثيرهم . . . وبذلك كسبوا مرتين : كسبوا أولا فرض أنفسهم على الحركة الاستشراقية كلها ، وكسبوا ثانيا تحقيق أهدافهم في النيل من الإسلام ، وهي أهداف تلتقي مع اهداف غالبية المستشرقين النصارى»(٤٢) .

ولذا نجد الصعوبة في تحديد كنههم من حيث الخلفيه العرقية . ويرصد «العقيقي» تسعة وعشرين مستشرقا عاشوا بين القرنين العاشر والسادس عشر الميلاديين ويعتبرهم «طلائع المستشرقين» فلانجد منهم يهودا إلا اثنين تنصرا هما «يوحنا بن داود الإسباني» «ويوحنا الإشبيلى» اللذان عاشا في منتصف القرن الثاني عشر الميلادى(٤٣) . وتنصرهما يؤيد الرأي القائل بأن المستشرقين اليهود تعمدوا إخفاء كنههم .

١ ـ ولعل أبرز المستشرقين اليهود «**إيناس غولدتسيهر ١٨٥٠ ـ ١٩٢١م**» وهو مستشرق مجرى (هنجاري) اتجه إلى دراسة العبرانية وتخرج باللغات السامية . ثم

---

(٤١) محمد عبد الفتاح عليان . أضواء على الاستشراق . ص ٥٣ـ٥٧ .

(٤٢) محمود حمدى زقزوق . الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى . ص٤٤ .

(٤٣) نجيب العقيقي . المستشرقون . ج١/ ١١٢ .

اهتم بالعربية والإسلام ونشر أبحاثه بالألمانية والفرنسية والإنجليزية. ويعد من الذين أسهموا في تغيير الدراسات العربية الإسلامية تغييرا جذريا ، إذ وضع خطة عامة اتبعها مستشرقون بارزون بعده واعترفوا له بأنه أعطى الدراسات العربية والإسلامية في الغرب قالبا جديدا[٤٤] .

٢ - ومن أبرز المستشرقين اليهود «**غوستاف فون غرونباوم ١٩٠٩ - ١٩٧٢م**» وهو نمساوي الأصل. تخرج من جامعتي فينا وبرلين وانتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية يتنقل بين جامعاتها ويغلب على إنتاجه اهتمامه بالأدب العربي .

٣ - ومستشرق آخر فرنسي معاصر هو « **كلود كاهين المولود سنة ١٩٠٩م** » تخرج باللغات الشرقية من السربون ومدرسة اللغات الشرقية ومدرسة المعلمين العليا وحاضر في مدرسة للغات الشرقية وعين أستاذا لتاريخ الإسلام في كلية الآداب بجامعة «ستراسبورج» «ثم في جامعة «باريس». ويغلب على أعماله التركيز على التاريخ . وغير هؤلاء من مشاهير المستشرقين اليهود ، وقد أورد «محمد بن عبود» مجموعة الأسماء اللامعة في عالم الاستشراق اليهودي لعله من المناسب إثباتها هنا[٤٥] . مع الاستعانة «بالعقيقي» في «المستشرقون» للتعرف عليهم ومنهم من لم يذكره «محمد بن عبود» ومنه من لم يترجم له «العقيقي» .

٤ - «**سليمان مونك ١٨٠٥- ١٨٦٧م**» وهو ألماني الأصل فرنسي النشأة والوفاة يتكلم الألمانية والفرنسية والعربية والفارسية والسنسكريتية ، وأكثر آثاره دراسات ضمنها شُهريات المجلات الفرنسية .

٥ - «**كارل بول كازباري ١٨١٤-١٨٩٢م**» مستشرق ألماني تحول إلى النصرانية معتنقا الكاثوليكية اشتهر بتفسير التوراة. له (القواعد العربية) باللاتينية ، وتعليم المتعلم للزرنوجي ، أشرف على طبعه وقدم له «فلايشر» وطبع في (لايبزبغ ١٨٣٨م وقازان ١٩٠١م) .

(٤٤) محمد بن عبود . «الاستشراق والنخبة العربية» . ص ٢٠٧ .

(٤٥) محمد بن عبود «الاستشراق والنخبة العربية» ص ٢٠٩-٢١٠ .

٦ ـ **«جيمس دار مشتيتر ١٨٤٩ـ ١٨٩٤م»** مستشرق فرنسي من أساتذة معهد فرنسا ـ تتبع المهدي منذ نشأة الإسلام إلى ١٨٨٥م وركز على آثار فارسية وزراد شتية .

٧ ـ **«جوزف ديرنبورغ ١٨١١ـ ١٨٩٥م»** من مستشرقي فرنسا. عني عناية تامة بالتلمود ، وأصبح من كبار علماء العبرية والعربية وتوفي بباريس . غلبت على تصانيفه اللغة والأدب .

٨ ـ **«مورتر شتايناشايدر ١٨١٦ ـ ١٩٠٧م»** مستشرق ألماني تعلم العربية في النمسا وعمل في المكتبة البودلية وفي مكتبة برلين الوطنية . يغلب على إنتاجه الضبط الببليوغرافي للمخطوطات العربية والترجمات . وبرز اهتمامه باليهودية من خلال آثارة .

٩ ـ **«هارتفغ ديرنبورغ ١٨٤٤ـ١٩٠٨م** «هرتوغ ديرنبورغ» وعن «العقيقي» أنه ابن «جوزف ديرنبورغ» وعن «محمد بن عبود» أنه أخوه ، وهو من مستشرقي فرنسا ولادته ووفاته بباريس. ودرَّس العربية بألمانيا وعين أستاذ اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية بباريس ثم في مدرسة الدراسات العليا ثم بقسم المخطوطات بمكتبة باريس الوطنية. وكانت له صولات وجولات مع المخطوطات في الأسكوريال ومدريد وغرناطة. له آثار عدة فى اللغة والأدب .

١٠ ـ **«إدوارد غلازر ١٨٥٥ـ ١٩٠٨م»** من المستشرقين النمساويين. وكانت وفاته بميونخ ، عين مساعد أستاذ للغة العربية بجامعة فينا ، طاف بلاد العرب في آسيا وأفريقيا خرج منها بألف واثنين وثلاثين من الكتابات القديمة المنقوشة على الأحجار، ومائتين وخمسين من مخطوطات الزيديين في اليمن ، ونشر كتابات حميرية .

١١ ـ «سيجموند كرانكيل ١٨٥٥ـ ١٩٠٩م» .

١٢ ـ **«ديفيد إبراها موفيش شورسون ١٨١٨ ـ ١٩١١م»** مستشرق روسي تحول إلى النصرانية معتنقا اللوثرية. كان متخصصا باللغة العبرية. ويتقن اللغة العربية ويعتبر من مؤسسي المدرسة الروسية للدراسات الإسلامية .

١٣ ـ **«يوليوس ليبرت ١٨٦٦ـ ١٩١١م»** مستشرق ألماني ركز على الطب عند

المسلمين وخاصة طب العيون وله فيه آثار منها أطباء العيون عند العرب في مجلدين عاونه فيه «هيرشبرغ وميتفوخ» .

١٤ - «ويلهلم باكر ١٨٠ - ١٩١٣م» من المستشرقين الألمان ، ركز جل اهتماماته على فارس .

١٥ - «**جوزف هاليفي ١٨٣٧ - ١٩١٧م**» مستشرق تركي الأصل فرنسي النشأة يعد من أساتذة مدرسة الدراسات العليا بالسربون. تقمص شخصية متسول يهودي وجال بجنوبي بلاد العرب ووصل إلى نجران. وعاد معه ستمائة وستة وثمانين نقشا من كتابات قديمة. وركز في بحوثه على السامية وما يتعلق بها .

١٦ - «**هيرمان ريكندروف ١٨٦٣ - ١٩٢٤م**» من المستشرقين الألمان انصرف لدراسة اللغات السامية و«المصرية» والسنسكريتيه والصينية - عين أستاذاً للعربية في فرايبرغ . ركز في دراساته على النحو العربي مع دراسات في الأدب .

١٧ - «**يوليوس هير شبرغ ١٨٤٣-١٩٢٥م**» مستشرق بولوني متخصص بتاريخ اليهود في الجزيرة العربية كتب عن السموءل وديوانه. وله آثار ركز فيها على اليهود في المجتمع الإسلامي .

١٨ - «**ديفيد سانتيلانا ١٨٥٥ - ١٩٣١م**» من مستشرقي إيطاليا ومن مواليد تونس . درَّس القانون واشتهر بالفقه الإسلامي . وضع القانون المدني والتجاري لتونس بدعوة من المقيم الفرنسي فيها. وقد أخذ كثيرا من الشريعة الإسلامية ، درَّس بمصر الفسلفة الإسلامية واليونانية والسريانية . آثاره يغلب عليها الفقه والقانون والفلسفة .

١٩ - «**جوزف هوروفتز ١٨٧٤- ١٩٣١م**» من المستشرقين الألمان. درَّس العربية في جامعة عليكرة بالهند، وتخصص بالإسلام في الهند . انتقل إلى ألمانيا ودرَّس بجامعة فرانكفورت، وعد من أشهر أساتذتها. له مصنفات وآثار في معارف كثيرة .

٢٠ - «ماكس سوبرهايم ١٨٧٢ - ١٩٣٢م .

٢١ - «**ج برجشتراسر ١٨٨٦ - ١٩٣٣م**» من المستشرقين الألمان درَّس الفلسفة

واللغـات السـامية والعلوم الإسلامية، ودرس اللهجات العامية . زار تركيا ومصر وعمـل فيهما . سقط على أحد جبال الألب فمات . له آثار عدة عن القرآن الكريم والفقة الإسلامى .

٢٢ ـ «**هـرتفـج هير شفيلد ١٨٥٤ ـ ١٩٣٤م**» مستشرق ألمـاني عنى بالـدراسات السامية . وكتب عن السمؤل وشعره والشعر المنسوب له . كما كتب عن حسان ابن ثابت وله دراسات في اليهودية والإسلام .

٢٣ ـ «**ريتشـارد غوتهايل ١٨٦٢ ـ ١٩٣٦م**» من المستشرقين الأمريكيين تخرج من جامعـات ألمانيا . أتقن العربية على يد شيخ من مشايخ الأزهر . درَّس في كولومبيا . تنوعت آثاره من حيث الفنون التي طرقها .

٢٤ ـ «**أ . ى فنسنك ١٨٨٢ ـ ١٩٣٩م**» مستشرق هولندي : أتقن اللغات السامية، وتخصص في أديان الشرق، وعني بالحديث الشريف، ووضع مع مجموعة من المستشرقـين المعجم المفهـرس لألفـاظ الحديث ولم يتمه . وتولى تحرير دائرة المعارف الإسلامية . اهتم بموقف الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ من اليهود وله آثار أخرى .

٢٥ ـ «**ديفيـد صمـوئيل مورغليوث ١٨٥٨ ـ ١٩٤٠م**» مستشرق إنجليزي دخل سلك الرهبنة ويعد من أئمة المستشرقين . كتب بالعربية بسلاسة وهو صاحب نظرية الانتحال في الشعر الجاهلي . له آثار ومباحث وتحقيقات عدة .

٢٦ ـ «**يوجين ميتفوخ ١٨٦٧ ـ ١٩٤٢م**» مستشرق ألماني تخصص في فقه اللغات السامية وركز على فقه اللغة الحبشية والسبأية وتاريخ جنوب الجزيرة العربية . وشـارك في نشر كتاب أطباء العيون عند العرب مع «ليبرت» و«هيرشبورغ» سالفي الذكر . وحاول ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمهرية .

٢٧ ـ «**بول كراوس ١٩٠٤ ـ١٩٤٤م**» مستشرق ألماني تقلد مناصب تعليمية عدة في ألمـانيا وفرنسا ومصر . وشهد له أعلام المستشرقين بالعمق والشمول والتفرد وكان يتوقع له مستقبل باهر . إلا أنه أنهى حياته بنفسه . ركز على إسهامات المسلمين العلمية .

٢٨ ـ «**ماكس مايرهوف ١٨٧٤ ـ١٩٤٥م**» من المستشرقين الألمان تخرج طبيبا وزاول

الطب . وتعلم اللغات في القاهرة خاصة التى تتحدثها القاهرة وعالج فقراءها مجانا، ودرس الطب العربي وكتب عنه كتابات مرجعية وله فيه آثار عدة .

٢٩ ـ «**أ . شاده ١٨٨٣ ـ ١٩٥٢م**» مستشرق ألماني تخرج باللغات الشرقية ودرَّس في هامبورج وفي مصر ، عني بكتابته عن بعض الأدباء المعاصرين . ترجم ونشر مجموعة من الدراسات والشروح .

٣٠ ـ «**كارل بروكلمان ١٨٦٨ ـ ١٩٥٦م**» مستشرق ألماني تخرج باللغات السامية واشتهر بلغته العربية والتاريخ الإسلامي والأدب العربي ودرسها في جامعات شتى . واشتهاره بالأدب العربي لم يقتصر على المفهوم الشائع للأدب العربي، بل إن مؤلفاته تشير إلى اضطلاعه بإسهامات المسلمين في شتى مجالات المعرفة التى برزت في كتابه «تاريخ الأدب العربي». وكتابه «تاريخ الشعوب الإسلامية». وآثاره غير يسيرة وترجم لمجموعة كبيرة من أعلام المسلمين في دائرة المعارف الإسلامية .

٣١ ـ «**ايفارست ليفي ـ برفنسال ١٨٩٤ ـ ١٩٥٦م**» من مستشرقي فرنسا. ولد بالجزائر ودرس بها، ثم درس بالمغرب العربي وركز على لغة جبلة، شمالي المغرب . أمضى معظم وقته في الشمال الأفريقي يدرس ويبحث. تخصص كثيرا في الأندلس، وعُدَّ مرجعا فيه، وله فيه باع طويل من البحوث والدراسات . ووجد في التسامح الإسلامي نحو اليهود في الأندلس ماينقض العنصرية والاضطهاد اللذين عانىٰ منهما اليهود في حياته ، ولذا برز حنينه إلى الأندلس وأهلها .

٣٢ ـ «**ليو آريه ماير ١٨٩٥ ـ ١٩٥٩م**» من المستشرقين النساويين. اختير رئيسا لمعهد العلوم الشرقية في القدس . وأصدر حولية في الآثار والفنون الإسلامية بعدة لغات ، ركز على فلسطين في آثاره .

٣٣ ـ «**لوى ماسينيون ١٨٨٣ ـ ١٩٦٢م**» مستشرق فرنسي تتلمذ على مشاهير المستشرقين وكانت له صولات وجولات علمية وعسكرية في الشرق. واهتم بالتصوف وكتب عنه بدائرة المعارف الإسلامية. له من الآثار ما يربو على

ستمائة وخمسين بين مصنف ومحقق ومترجم ومقالة ومحاضرة وتقرير ونقد . له أياد «بيضاء» على الحركة الاستعمارية في العالم العربي .

٣٤ - «وليام بوبر ١٨٧٤ - ١٩٦٣م» مستشرق أمريكي ومن أعلام المستشرقين في أمريكا. تنقل بين البدو وأخذ عنهم لهجاتهم وقصصهم، وعاد إلى الولايات المتحدة ودرس بجامعة كاليفورنيا . وواصل جهود سابقيه في نشر كتاب (النجوم الزاهرة) «لابن تغري بردي» .

٣٥ - «روبين ليفى ١٨٩١ - ١٩٦٦م» مستشرق بريطاني تعلم في جامعات نورث ولسون وبنجور وأكسفورد . عمل في العراق وأقام في أمريكا وعاد إلى بريطانيا . له آثار في فارس والعراق وغيرها .

٣٦ - «جورجيو ليفي دلافيدا ١٨٨٦ - ١٩٦٧م» من المستشرقين الايطاليين، أستاذ العربية واللغات السامية المقارنة بجامعة روما، ومن كبار الباحثين في تاريخ الدين الإسلامي وغلب على آثاره اهتمامه بالشعر والشعراء .

٣٧ - «جوزف شاخت ١٩٠٢ - ١٩٦٩م» مستشرق ألماني تقلد مناصب تعليمية عدة في ألمانيا ومصر وبريطانيا وأمريكا والجزائر وهولندا . وقد اشتهر بدراسة التشريع الإسلامي وبيان نشأته وتطوره و«تأثره» وأثره . وله آثار عدة وهو من محرري دائرة المعارف الإسلامية .

٣٨ - «مارسل كوهين ١٨٨٤ م» مستشرق فرنسي وعالم لغوي من أساتذة مدرسة اللغات الشرقية ومدرسة الدراسات العليا بباريس . له بحوث وآثار سامية تركز فيها على اللغات السامية .

٣٩ - «مكسيم رودنسون ١٩١٥ م» مستشرق فرنسي ماركسي درَّس في باريس في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية والمدرسة العلمية للدراسات العليا . درَّس في صيدا وعمل في بيروت ودمشق أمين مكتبة ، له آثار كثيرة غلب عليها اهتمامه بالاقتصاد الرأسمالي والمراكسي، كما غلبت كتابته في الوضع العربي الراهن ، عرف عنه معارضته للصهيونية .

٤٠ - «برنارد لويس ١٩١٦ -» مستشرق بريطاني درَّس في لندن وباريس ، ودرَّس في الولايات المتحدة الأمريكية بجامعة برنستون وغيرها من جامعات الولايات

المتحـدة، بالإضافة إلى تدريسه في جامعات بريطانيا. ركز في دراساته على التاريخ عموما وعلى تاريخ الإسماعيلية بخاصة ، ويتابع النشاط الإسلامى في أوروبا وأمريكا . لايتورع عن التأكيد على صهيونيته وإعلانها .

٤١ - «ديفيد كوهين» مستشرق فرنسي معاصر وعالم لغوي له آثار لغوية عدة في السامية .

٤٢ - «إسرائيل ولفنسون» معاصر ويكنى بأبي ذؤيب . درَّس اللغة السامية بدار العلوم ثم بالجامعة المصرية . له تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام بالعربية. وقدم له «طه حسين». وتاريخ اللغات السامية بالعربية ، و«موسى بن ميمون» حياته ومصنفاته بالعربية، وقدم له «مصطفى عبدالرازق» ، وكعب الأحبار بالألمانية . ونشر كتاب (المصائد والمطارد) «لأبي الفتح كشاجم» ويعد من المستشرقين الألمان .

ومن الصعب جداً حصر الأسماء اليهودية في عالم الاستشراق للأسباب سالفة الذكر، ومالم يكن الباحث عالما بطريق غير مباشر عن كُنه المستشرق، إلا أنه يغلب على المستشرقين اليهود اهتمامهم المباشر بالسامية وتعلقهم بها، حتى لايكاد مستشرق يهودي يطرق أبواب الاستشراق دون أن يمر على اللغات السامية أو يتقن العبرية. ولعلهم بهذا يقتفون أثر «إمامهم» إيناس جولدتسيهر» الذي بدأ رحلته الاستشراقية بالاهتمام بالعبرانية ثم اتجه منها إلى الإسلام والعربية[٤٦] .

وتزداد الصعوبة في الوقت الراهن عندما ندرك أن اليهود عملوا على السيطرة على مراكز ومعاهد الدراسات الإسلامية والعربية والشرق أوسطية، فوجهوها الوجهة التي تعين على تثبيت أقدام اليهود في فلسطين المحتلة . وهذا يقلق كثيرا من المستشرقين من غير اليهود ممن يمكن أن يوصفوا بالنزاهة والتجرد . وقد صرح لي بهذا الأستاذ «رالف برابنتي» أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة «دوك» بولاية «نورث كارولينا» بالولايات المتحدة الأمريكية. والمقصود هنا النزاهة النسبية التي تتضح لبعض

(٤٦) قد يذكر اسم «جولد تسيهر» الأول على أنه «إجناس» إذ يكتب باللاتينية (Ijnas) وهذا المستشرق استقر به المقام في ألمانيا وغالبية أعماله بالألمانية ولذا يذكره الألمان على أنه «إيناس» بالياء لأنهم ينطقون حرف (j) ياءً . . .

الباحثين دون بعض اعتماداً على نظرة الباحث إلى المستشرق الموسوم بالنزاهة .

ولاتقتصر السيطرة على إدارة هذه المراكز والمعاهد فحسب ، وإنما أيضا شملت التحكم فيما يقال عن المنطقة في المؤتمرات والندوات التي تنعقد في الجامعات والمؤسسات العلمية والتعليمية. فالتي لاتتاح لهم فيها فرصة المشاركة الفعلية تراهم يرسلون إليها مندوبين لهم يرصدون ما يقال في هذه اللقاءات ويكتبون عنه التقارير لمكتب الملحقية الثقافية اليهودية ، وهذا بدوره يكتب لهذه المؤسسات طالبا عدم التعرض لليهود ولدولتهم في فلسطين بشيء من السلبية . هذا بالإضافة إلى رصد المعلومات عن هذه الأنشطة ومعرفة توجهها ومحاولة الإسهام فيها .

ولذا لايستبعد المرء أن تستفحل حركة الاستشراق الصهيوني وأن تكون السمة الطاغية على الاستشراق في فترة تأتي قد تطول إذا ما استمرت السيطرة الصهيونية على جميع مرافق الحياة العلمية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الغربي عموما ، وفي مجتمع الولايات المتحدة الأمريكية بخاصة بعد تسلمها زمام الحضارة الغربية من أوروبا ، مما أتاح للمستشرقين وغيرهم من اليهود أن يصبوا جام غضبهم بسبب ما حصل لهم من اضطهاد في أوروبا على بعض الحركات السياسية والعرقية فيها ، وبصورة أوسع وأشمل وأوضح على طرف ثالث أكثر من الطرف الثاني الأوروبي ، وقد برزت ردود الفعل هذه «بوضوح ، خصوصا بعد الحرب العالمية الثانية ، في كتابات المستشرقين الصهاينة وعلى رأسهم «بارنارد لويس». إن بذور الصهيونية قد غرست خلال القرن التاسع عشر (الميلادي) ولكن الشجرة الصهيونية قد ازدادت نموا خلال القرن العشرين (الميلادى) ، فكان الهدف الأصلي لهذه الحركة من وراء اهتمامها بالإسلاميات الحصول على المعلومات الكافية عن الفلسطينيين الذين سيتركون بلادهم لتؤسس فيه الدولة الصهيونية مستقبلا . كما أولى الصهاينة اهتماما كبيرا للدول المجاوره لفلسطين لمنع احتمال ردود فعل ضد تأسيس دولة إسرائيل . وكان الصهاينة ـ شأنهم في ذلك شأن أسلافهم المستعمرين ـ مهتمين بالدراسات العربية والإسلامية أساسا كوسيلة لتحقيق أهداف سياسية[٤٧] وإذا كان يتردد أن تأثير الاستعمار قد انتهى

(٤٧) محمد بن عبود . «الاستشراق والنخبة العربية» . ص ٢١١ .

فلايزال للصهيونية تأثيرها في الدرسات العربية والإسلامية خصوصا في الولايات المتحدة ـ كما سبق التنويه عليه ـ.

وقد ساعد التنصير على ترسيخ فكرة الاستشراق الصهيوني من خلال تشجيع دراسة اليهود للعرب والمسلمين مما ساعد على استغلال التنصير لليهود في سبيل تحقيق أهداف التنصير الدينية والسياسية . وقد اقتنع المنصرون أن جمع اليهود في فلسطين يسهل لهم مهمتهم في الوصول إلى المسلمين[٤٨] . ولاتزال الجمعيات التنصيرية تنطلق من فلسطين المحتلة رغم سيطرة اليهودية على البلاد . ولابأس ـ في نظام القوم ـ من أن تتضافر الجهود في سبيل الحد من «خطر» الإسلام على الأمم الأخرى . ولابأس ـ في نظام القوم ـ من ممارسة «الإرهاب الفكري» ضد الإسلام والمسلمين سعيا وراء توطيد الأقدام في فلسطين المحتلة إلى درجة محاولة تحريف القرآن الكريم وتوزيع نسخ مزورة منه على المسلمين مثلما حدث في أندونيسيا وغيرها من بلاد المسلمين التي كان يعتقد أنها لجهلها بالعربية لن تنتبه لهذه النسخ المزورة . ومثلما حدث من طباعة «موجزة» للقرآن الكريم صدرت عن «دار ديفز للنشر» وهي دار يهودية مركزها (شيكاغو) بولاية إلينوي بالولايات المتحدة الأمريكية ، وسمت هذه الطبعة الموجزة بالقرآن القصير[٤٩] ، كما فعلوا مع القواميس والمعاجم يصدرون طبعات موجزة عنها للرجوع السريع !

ولايبدو أن مثل هذه الأساليب ستجدي في تحقيق الأهداف ، فهي أعمال يغلب عليها جانب السطحية في المحاولة إذا ماقورنت بما أدخله اليهود على الفكر الإسلامي منذ البدايات الأولى للإسلام، وكانوا السبب الرئيس في اختلاف الأمة وتفرقها ودخول مبدأ البدعة منها والرجوع إلى العقلانية في النظر إلى التشريع[٥٠] وتغليب العقل على النصوص أحيانا ولو ثبتت صحتها من قبل كبار المحققين والمخرِّجين . وحيث تنبه المسلمون إلى هذه الجوانب وردوا النظريات التي شككت في صحة

(٤٨) مصطفى خالدي وعمر فروخ . التبشير والاستعمار في البلاد العربية . ص١٨١ .

(٤٩) أحمد بن عبد الله الزغيبي . الفكر الصهيوني وأهدافه في المجتمع الاسلامي . ١٠٥٢/٣ .

(٥٠) أنور الجندي . شبهات التغريب في غزو الفكر الاسلامى ، دمشق : المكتب الاسلامي ، ١٣٩٨هـ . ص ٤٢-٤٤ .

الحديث والآثار المروية عن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يلجأ اليهود إلى أساليب جديدة في إدخال «الاسرائيليات الحديثة» على الفكر الإسلامي. وكلما استنفذت وسيلة لجأوا إلى أخرى. وليس في هذا مصدر غرابة أو عجب، فقد «تعوَّد» المسلمون على مثل هذه الأساليب وكانوا ـ ولايزالون ـ موفقين في ردها والرد عليها. هذا بالإضافة إلى المعلومة المسبقة عن اليهود مما يجعل اليهود يتفانون في إخفاء كنههم ولو أدى ذلك إلى تنصرهم، بل.ربما إلى إسلامهم وصلاتهم مع المسلمين وحضورهم لقاءاتهم واجتماعاتهم وأنشطتهم الأخرى. وانظر ـ إن شئت ـ إلى قصة «فريد عبدالرحمن» أو «الفرد دي يونغ» كما يرويها «قاسم السامرائي».[٥١] ولعل هذا ـ أيضا ـ مما يؤيد صعوبة التعرف عليهم بطرق علمية مجردة. أما الذي لم يمتط صهوة التنصر أو الإسلام فاكتفى بأن يصنف من المستشرقين العلمانيين الذين اشتد أزرهم في القرن الرابع عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي[٥٢]. وزادت شوكتهم في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي وخصوصا مع قيام دولة إسرائيل في فلسطين المحتلة عام ١٣٦٨ / ١٩٤٨م وما صاحب هذا من نقلة في اهتمامات المستشرقين عموما والعلمانين بشكل خاص واليهود منهم على وجه أكثر تخصصيا، إذ برزت نغمة تعميق الوجود اليهودي في منطقة «الشرق الأوسط» وكثر التأليف والكتابة عن هذا الموضوع قصدا إلى ترسيخ فكرة حق اليهود في وطن قومي لهم في فلسطين. وإن لم تكن الفكرة وليدة القرن السابق أو القرون الثلاثة الماضية المقرونة بدعوة الحاخام «ليفا ١٥٢٠ ـ ١٦٠٩م» لقيام وطن قومي لليهود[٥٣]، فمما لاشك فيه أنها استشرت مع إعلان دولة إسرائيل. واتجه إلى الإستشراق أعضاء جدد لم يكونوا يفكرون بطرق أبوابه من قبل، حتى أنه دخل في هذا المفهوم الكُتَّاب الصحفيون والمعلقون السياسيون والمهتمون بالمنطقة، مما أعطى فكرة الاستشراق شيئا من السطحية لم تكن تنعم به من قبل. وأصبحت هذه المقالات والتعليقات كتبا تباع في

---

(٥١) قاسم السامرائي. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ص ١٢٢.

(٥٢) نذير حمدان. الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كتابات المستشرقين. ط١ جدة: دار المنارة، ١٤٠٦هـ. ص٣٨.

(٥٣) علي جريشة، الاتجاهات الفكرية المعاصرة. المنصورة: دار الوفاء، ١٤٠٧ / ١٩٨٦م. ص ٢٤١.

المكتبات على أنها مراجع عن المنطقة. وأصبح كاتبوها ممن يرجع إليهم في تحليل أو تفسير ما يقع في المنطقة من أحداث، وترك هؤلاء لأهوائهم وميولهم العنان في الانطلاق في التحليل والتعليق الذي يناسب الوجهة التي يعملون لها، مع قدر محدود جدا من توفر الوجهة الأخرى، وشبه انعدام للخلفية التاريخية للصراع القائم اليوم .

ولاشك أن لهذا الاتجاه أثره على حركة الاستشراق عموما وعلى الاستشراق الصهيوني على الأخص، خاصة أن التضخم الاقتصادي وانتشار البطالة قد أسهم في التقليل من الصرف على مراكز ومعاهد الدراسات العربية والإسلامية والشرق أوسطية. فنقصت نسبة الطلبة نظرا لزيادة رسوم الدراسة. وألغيت بعض الأقسام أو قلص من نشاطها، مما ينبيء بتحول في النشاط الاستشراقي.(٥٤) وفي هذه البيئة تتم لليهود السيطرة على مسار الاستشراق فيتصرفون في المؤتمرات أو الندوات والنشرات التي تصدر عن الجميعات والمراكز الاستشراقية، مما قد يهدد بخطر أكثر عتوا من المرحلة التي كان اليهود المستشرقون فيها منخرطين بين المستشرقين مخفين حقيقتهم . وربما برزت في الأفق دعوى أحقية اليهود في الاستشراق على اعتبار أنهم قريبون من المنطقة، وأنهم جنس سامٍ يدرك ظروف المنطقة، بحكم قيام دولة لهم فيها. إضافة إلى إتقانهم لغة «أعرابية» تسهل عليهم كثيرا إتقان اللغة العربية . وهم في الأصل شرقيون مما يعينهم على إدراك المشكلات الشرقية، ويسكنون في الغرب فيدركون حاجات الدول الغربية من المنطقة.(٥٥) وهكذا يبررون نزعتهم إلى السيطرة على زمام الاستشراق فلايُدخِلون فيه إلا من يحوم في فلكهم . وربما طغى الهدف السياسي للمستشرقين عموما واليهود بخاصة على الهدف الديني على اعتبار أن اليهود ينظرون إلى دولتهم المقامة في فلسطين المحتلة على أنها موطن الجنس اليهودي ـ وليس الديانة اليهودية. وعليه فإن الهدف الديني غير وارد بالقوة التى يخدمون بها الهدف السياسي في ترسيخ فكرة استمرار الدولة وشرعيتها في البقاء ، في الوقت الذي تضعف فيه الحركات التي تصمم على إعادة الأرض إلى أهلها بأي شكل من أشكال الإعادة .

(٥٤) عدنان محمد وزان . الاستشراق والمستشرقون : وجهة نظر . من ١٣٩-١٥٧ .

(٥٥) عمر فورخ . «الاستشراق في نطاق العلم وفي نطاق السياسة. في الاسلام والمستشرقون . تأليف نخبة من العلماء المسلمين . جدة : عالم المعرفة، ١٤٠٥. ص ١٢٥-١٤٣ .

وهكذا يخدمون الصهيونية فكرة أولا ثم دولة ثانيا . والظروف العامة والظواهر المترادفة في كتابات المستشرقين من هذه الفئة تعزز وجهة النظر هذه وتخلع عليها بعض خصائص الإنتاج العلمي(٥٦) .

ومع هذه الجهود المضنية في السيطرة على مسيرة الاستشراق وتوجيهها الوجهة التي تتفق وأهداف وتطلعات الاستشراق اليهودي ، مع هذا هل من الممكن اعتبار مدارس للاستشراق تكون «المدرسة اليهودية» واحدة منها ؟ . هناك من صنف الاستشراق إلى أربع مدارس :

١ ـ المدرسة النصرانية ـ الكاثوليكية والبروتستانتية .
٢ ـ المدرسة اليهودية .
٣ ـ المدرسة الإلحادية العامة .
٤ ـ المدرسة الإلحادية الشيوعية(٥٧) .

ولاشك أن هناك ماتميز به المستشرقون اليهود من حيث تركيزهم على اللغات السامية ، وإصرارهم على اعتماد الإسلام على اليهودية، وإقحامهم الإسرائيليات في التاريخ الإسلامى ، وتأكيدهم على وضع اليهود في الجزيرة العربية بعد ظهور الإسلام إلى الوقت الحاضر على المستوى العربي عموما(٥٨) ، بل على المستوى العالمي ، وهذه كلها لاترقى إلى أن يكون هناك مدرسة استشراقية يهودية ، فلقد جر المستشرقون اليهود غيرهم من الملحدين والنصارى إلى تبني ماذهبوا إليه ، واتفق المستشرقون اليهود مع غيرهم من المستشرقين على مواقفهم من القرآن الكريم ، وسيرة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وسنته ، والشريعة والتاريخ الإسلامي والسير وغيرها ، فلا تكاد تميز بينهم في مواقفهم هذه . وانخرط المستشرقون «الآخرون» في النظرة المعاصرة للمنطقة فأصبحت تجد صعوبة في التعرف على كُنه المستشرق وهو يتحدث عن المنطقة. ولاتستطيع الحكم عليه باليهودية لمجرد حماسه لدولة إسرائيل.

(٥٦) محمد البهي . الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ص ٤٣١ .

(٥٧) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها** : التبشير، الاستشراق الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه . ط ٤ دمشق : دار القلم ، ١٤٠٥ . ص ١٢٤ (سلسلة أعداء الاسلام/٣) .

(٥٨) أنور الجندي . **الإسلام فى وجه التغريب** . ص ٣٠٩ـ٣٢٨ .

فلقد وجد مستشرقون غير يهود تحمسوا لقيام دولة إسرائيل في فلسطين المحتلة أكثر من تحمس بعض المستشرقين اليهود لها ، وذلك لانخراطهم في خدمة الصهيونية العالمية بشكل مباشر أو غير مباشر .

هذا مع التشكيك جملة وتفصيلا في أن الاستشراق عموما قد وصل إلى مستوى أن يقسم إلى مدارس لما لمصطلح «مدرسة» من عمق في التفكير وجديد الإضافة والتميز الملحوظ ، الأمر الذي لم يتحقق بوضوح في مسألة الاستشراق الى درجة أنه لايصل إلى أن يطلق عليه «علم» نه أصوله ومناهجه ونظريته التي ينطلق منها ، بل ربما صح أنه ظاهرة مثله في هذا مثل التنصير والاستعمار(٥٩) .

وما كان التركيز في هذه الجولة إلا على التأكيد على أن الاستشراق قد خدم اليهوديه والصهيونية وأن هناك علاقة بين الاستشراق واليهودية بدت واضحة من خلال توجهات المستشرقين عموما بغض النظر عن خلفياتهم التي انطلقوا منها .

(٥٩) سبقت الإشارة إلى شيء من هذا عند الحديث عن العلاقة بين الاستشراق والاستعمار . (أنظر علي بن ابراهيم النملة «العلاقة بين الاستشراق والاستعمار» .